تَحْتُ إِشْرَاف نِيَافَةُ الْأَنْبَا إِسْطفَانُوس

أَسْقُفْ بِبَا وَالْفَشْن وَسَمُسْطَا

جَعَلَ الأَبَدِيَّةَ فِي قَلْبِهِمِ

(جا ٣ : ١١)

خَطَوَاتُ الْمَسِيحِي الْمُتَدَرِّجَةِ والْعَمَلِيَّةِ والْبَسِيطَةِ لِبُلُوغِ حَالَة الْكَمَالِ النِّسْبِي

اعداد

الرَّاهِبُ مَكَارِي الْأَنْبَا مَكَارْيُوسْ

مَزْرَعَةُ بَيْتِ الرَّحْمَـــةِ

مَنْطِقَةُ شُهَدَاءُ الْبَهْنَسَا

الْطَرِيقُ الْصَحَـرَاوِي الْغَرْبِي الْكِيلُو -٢١٥- مِنْ القاهِرة

جَعَلَ الأَبَدِيَّةَ فِي قَلْبِهِمِ

(جا ٣ : ١١)

خَطَوَاتُ الْمَسِيحِي الْمُتَدَرِّجَةِ والْعَمَلِيَّةِ والْبَسِيطَةِ لِبُلُوغِ حَالَة الْكَمَالِ النِّسْبِي

الرَّاهِبُ مَكَارِي الْأَنْبَا مَكَارْيُوسْ

اسم الكتاب: **جَعَلَ الأَبَدِيَّةَ فِي قَلْبِهِمِ** (جا ٣ : ١١)
[خَطَوَاتُ الْمَسِيحِي الْمُتَدَرِّجَةِ والْعَمَلِيَّةِ والْبَسِيطَةِ لِبُلُوغِ حَالَة الْكَمَالِ النِّسْبِي].
اعداد: الرَّاهِبُ مَكَارِي الْأَنْبَا مَكَارْيُوسْ.
المطبعة: دار يوسف كمال للطباعة ت: ٢٤٤٤٧٠٢٤ القاهرة
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.
يُطلب هذا الكِتاب من:

١. مكتبة دير العذراء والملاك ميخائيل الشهير بمزرعة بيت الرحمة – بني مزار – المنيا (الصحرواي الغربي – الكيلو ٢١٥ من القاهرة)، [تليفون: ٠١٢٧٨١٤٥١٦٢]
٢. مكتبة المحبة بِشبرا مصر.
٣. مكتبة الكاتدرائية المرقسية بالأزبكيّة.
٤. جميع المكتبات المسيحيّة والكنائس بالقاهِرة والأقاليم.

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندريّة وبطريرك الكِرازة المرقسيّة

الأنبا إسطفانوس

أسقف ببا والفشن وسمسطا

مقدّمة

بلوغ المسيحي إلى درجة الكمال النسبي كوصية السيد المسيح الذي قال "كُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (مت ٥: ٤٨) أمرٌ من شأنه أن يشغل باله طيلة حياته الأرضية ،طالت أم قصرت، وهكذا من منطلق أهمية هذا الموضوع وتَشَعُّبه وامتداده على مر الأجيال والعصور ليشغل بال الجميع من الراغبين في حياة الكمال استجابةً لِوصية المسيح من ناحية واشتياقاً لِبلوغ تلك الدرجة وكشف مكنونها وما تتضمنه من لذاتٍ وتعزياتٍ من ناحيةٍ أخرى، كُنَّا على يقينٍ شديدٍ وثقةٍ كاملةٍ أنَّ تلك الصفحات القليلة لا تُغَطِّي الموضوع، إنما هي تتناول بِطريقةٍ مُبَسَّطةٍ تَدَرُّج المسيحي من الحالة الأوليّة التي لربما تعتري الكثيرين، وهي الحياة الفاترة أو بالأحرى الحياة الروحيّة الروتينيّة إلى البلوغ لتلك الحالة من الكمال النسبي التي أوصى بها السيد المسيح.

أمّا يقيننا التام من قوة هذه الكلمات فلم يكن إلّا لِثقتنا الأكيدة في صدق الوصيّة المنطوقة بِفم المسيح في (مت ٥: ٤٨) والتي تفتح الباب أمام الإنسان لبلوغ حالة الكمال النسبي مبينةً أنَّ هذا البلوغ هو في قُدرة واستطاعة الجميع ممن يجتهدون في الطريق الضيق والكرب (مت ٧: ١٣)، وقد أحببنا أن نتناول هذا الموضوع بطريقةٍ مبسطةٍ عمليّةٍ تفتح الباب أمام العديد من النقاط الروحية التي تتعلق به، بيد أن تناولنا لِذلك الموضوع قد نَهَجَ نَهْجَ الأسلوب الإنجيلي المُتَدَرِّج، بمعنى أنَّهُ يَتَدَرَّج بالقارئ في الطريق الروحي من بدء الطريق إلى بلوغ حالة الكمال، ذلك لِأنَّ الأسلوب المُتَدَرِّج هو الأسلوب العملي الذي يُسَهِّلُ على المُتَلَقِّي الاستجابة العمليّة له.

ثُمَّ وغني عن الذكر أنَّنا لا نقول بأننا قد تَطَرَّقنا لِكافة التفاصيل الخاصة بِهذا الموضوع الذي لا يكفيه عمر الإنسان كله فكيف تكفه هذه الصفحات

شرحاً وتفسيراً ومناقشةً وتأمُّلاً، وهكذا صار لسان حالنا عن هذا الموضوع قائلاً مع مار يوحنا الحبيب "لَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ" (يو ٢١: ٢٥) وطفقنا نقول مع الجامعة عنه أيضاً "لِعَمَلِ كُتُبٍ كَثِيرَةٍ لاَ نِهَايَةَ وَالدَّرْسُ الْكَثِيرُ تَعَبٌ لِلْجَسَدِ" (جا ١٢: ١٢)، إنما وبِقدر الإمكان حاولنا أن نتناول الموضوع بِطريقة مبسطة المُحتوى مُتَدَرِّجة الخطوات تفتح أبواب البحث والتفتيش أمام الجميع لكي ما يستزيدوا من مُحاولاتهم لِطرق باب هذا الموضوع، وهكذا تَتَحَوَّل لديهم الأولويات من الإنشغال بالعالم ،الذي طفق يستخدم الكثيرون ويستغلهم لحساب الشيطان، إلى مُحاولة تَكَشُّف الطريق الروحي الأمر الذي لعله يُشعِرُ من يسلكه بِأَنَّهُ لا يزد عن كونه غريباً على الأرض لا مكان له بها، فلئن كان يسكنها فهو لايزال في مرتبة الغريب الذي ينتظر موطنه الأصلي وهو السماء.

والحقيقة أنَّ تَشَجُّعنا لِطرق باب هذا الموضوع إنما عزى لِعبارة الروح القدس بِلسان الجامعة "١١صَنَعَ الْكُلَّ حَسَناً فِي وَقْتِهِ وَأَيْضاً **جَعَلَ الأَبَدِيَّةَ فِي قَلْبِهِمِ** الَّتِي بِلاَهَا لاَ يُدْرِكُ الإِنْسَانُ الْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ اللَّهُ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ" (جا ٣: ١١)، حينها أدركنا أنَّ بلوغ حالة الكمال النسبي بالنسبة للمسيحي أمرٌ ليس صعباً كما بدى للكثيرين، فها الأبديّة التي هي النتيجة الطبيعيّة لبلوغ الإنسان إلى حالة الكمال النسبي هي في قلبه قد غرسها الله في مكنونات وجدانه وفي طبع خلقته لكي ما يستشعر حنيناً بينما هو غريباً على الأرض إلى موطنه الأصلي، وهكذا يصير شوقه طوال حياته منساقاً ومنجذباً نحو الأبديّة التي قد سبق الله وغرسها في طبع خلقته حتى قال عن هذا الموضوع القديس أغسطينوس [ستظل نفوسنا حائرة إلى أن تستقر فيك يا الله]، وهكذا تصير تعزية الإنسان حينما تُحاصره الهموم وتكثر عليه الأهواء وتزيد حوله المُضايقات هي أن يسترجع فكر الأبديّة الذي غرسه الله داخله قبل حتى أن

يُولَد الأمر الذي يؤول به للثبات والتَشَجُّع لِمُقابلة ومُقاومة عواصف الحياة وهمومها وأحزانها التي ورثها عن أبيه آدم الأول (١كو ١٥: ٤٥) كنتيجةٍ طبيعيّةٍ لِخطيته الأولى في الفردوس (تك ٣: ٦).

وقد ابتدأت بذرة هذا الكتاب كرسالة أرسلناها لِبعض الأحباب ثُمَّ أثمرت الآن بِهذا العمل المبسط الذي نرجو من المسيح أن يجعله فائدةً للجميع.

ببركة صلاة صاحب الغبطة والقداسة البابا المُعَظَّم الأنبا تواضروس الثاني وشريكه في الخدمة الرسوليّة الأنبا إسطفانوس أسقف ببا والفشن وسمسطا نُصدر هذا الكتاب لكي يكون نفعاً للكنيسة وخيراً لشعبها بِكل مكان وزمان.

لإلَهنا المجد إلى الأبد، آمين.

✠

قوّة الكلمات ليس فى بلاغتها

الكلمات القويّة قد تُقاس بكثرتها أو ببلاغتها وما بها من حُجّة ومنطق يأثر العقول ويسبها بحلاوة الكلمات وزخرفتها كقول الحكيم سليمان "أَغْوَتْهُ بِكَثْرَةِ فُنُونِهَا بِمَلْثِ شَفَتَيْهَا طَوَّحَتْهُ. ذَهَبَ وَرَاءَهَا لِوَقْتِهِ كَثَوْرٍ يَذْهَبُ إِلَى الذَّبْحِ أَوْ كَالْغَبِيِّ إِلَى قَيْدِ الْقِصَاصِ" (أم ٧ : ٢١–٢٢)، وكقوله أيضاً "لأَنَّ شَفَتَيِ الْمَرْأَةِ الأَجْنَبِيَّةِ تَقْطُرَانِ عَسَلاً وَحَنَكُهَا أَنْعَمُ مِنَ الزَّيت" (أم ٥ : ٣)، أمّا هذه الكلمات فقوتها انما تنبع من مصداقيتها التى هى مُستمدّة من استقامة هدفها إذ هى مُرسلةٌ لمن تربطنى معهم علاقة محبة حقيقية لا تبتغى ظهوراً أو اشتهاءاً لكرامةٍ أو لشكلٍ قد يبدو روحانيّاً، ولو أنَّها[1] قد أُرسلت لآخرين لربما ظنّوا أنَّها بدافع تلك الأشياء عينها أو أنَّها نتيجةٌ طبيعيّةٌ روتينيّةٌ تتناسب والمكان الذى أنا به أو الحالة التى يظنونى فيها! ومع أننى كنت ولازلت أتمنّى من كل قلبى أن ينسانى الجميع تماماً إلَّا أنَّنِى لم أقدر على السكوت إذ أن "رُوحُ بَاطِنِي تُضَايِقُنِي. هُوَذَا بَطْنِي كَخَمْرٍ لَمْ تُفْتَحْ. كَالزِّقَاقِ الْجَدِيدَةِ يَكَادُ يَنْشَقُّ" (أى ٣٢ : ١٨–١٩) لذلك "أَتَكَلَّمُ فَأُفْرَجُ. أَفْتَحُ شَفَتَيَّ وَأُجِيبُ" (أى ٣٢ : ٢٠) فمن "يَسْتَطِيعُ الاِمْتِنَاعَ عَنِ الْكَلاَمِ" (أى ٤ : ٢).

الميل للوحدة لا يعنى البغضة

والكلام ،كما قلت، هو بسبب المحبة القوية التى هى أثمن من كل ثروات الدُنيا[2]، والتى هى أقوى من الموت (نش ٨ : ٦)، والتى هى أيضاً كنارٍ لا تقدر سيول المياه أن تطفئـها[3]، تلك[4] التى ظـنّ الجميـــع[5] أنها لم تكن عنـدى

---

[1] أى تلك الكلمات.

[2] كما قيل "إِنْ أَعْطَى الإنسان كُلَّ ثَرْوَةِ بَيْتِهِ بَدَلَ الْمَحَبَّةِ تُحْتَقَرُ احْتِقَاراً" (نش ٨ : ٧).

[3] كقول الجامعة "مِيَاهٌ كَثِيرَةٌ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْفِئَ الْمَحَبَّةَ وَالسُّيُولُ لاَ تَغْمُرُهَا" (نش ٨ : ٧).

[4] أى تلك المحبّة.

[5] خاصةً منكم ومن الأقرباء.

لانفصالى أو بالحرى لسعيى الدائم للابتعاد عن الجميع، فلم أكُن بذلك السلوك كالآخرين[٦] الذين لهم ارتباط شديد بذويهم وأقربائهم وأنسبائهم، والحق يُقال فكثيراً ما ظننت فى نفسى هذا الأمر، فأين أنا مثلاً من الوصيّة القائلة "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِتَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ" (خر ٢٠ : ١٢)، "أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ كَمَا أَوْصَاكَ الرَّبُّ إِلهُكَ لِتَطُول أَيَّامُكَ وَلِيَكُونَ لكَ خَيْرٌ على الأَرْضِ التِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ" (تث ٥ : ١٦)، أو الأخرى التى تقول "وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْتَنِي بِخَاصَّتِهِ، وَلاَ سِيَّمَا أَهْلُ بَيْتِهِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الإِيمَانَ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ" (١تي ٥ : ٨).

لكل شيئ زمان ولكل أمر تحت السموات وقت

لكنَّ المسيح الكُلىَ الرحمة والحنان والعدل ولكى ما يثبت لى[٧] أن وصاياه ليست ثقيلة (١يو ٥: ٣)[٨] فيؤكد أن "كُلُّ الْكِتَابِ هُوَ مُوحىً بِهِ مِنَ اللهِ، وَنَافِعٌ لِلتَّعْلِيمِ وَالتَّوْبِيخِ" (٢تى ٣ : ١٦) من ناحية، وأنَّ كل إنسان قادرٌ على تنفيذ كل وصيّة من ناحية أخرى أرجع لى الفرصة لاتمام ما ظننت[٩] انه فاتنى وما عُدت أقدر على تنفيذه بعدما انفصلت عن الذين كان يجب علىّ اتمام الوصيّة معهم وبينهم. وفى رأيى أنَّهُ لم يُرجعها إذ هو لم يُضيّعها منى أصلاً بل أبقاها للوقت المُناسب وللشئ الأكثر أهميّة أيضاً.

---

[٦] من الأقرباء والأصدقاء.

[٧] وللجميع أيضاً.

[٨] كقول الجامعة "حَافِظُ الْوَصِيَّةِ لاَ يَشْعُرُ بِأَمْرٍ شَاقٍّ وَقَلْبُ الْحَكِيمِ يَعْرِفُ الْوَقْتَ وَالْحُكْمَ" (جا ٨ : ٥).

[٩] وربما أنتم أيضاً.

"**غيرة بيتك أكلتنى**" (مز ٦٩ : ٩) (يو ٢ : ١٧)

لكن العجيب أنَّ المسيح الذى "فتح لى باباً عظيماً وفعّالاً" (١كو ١٦: ٩) لأرجع فأُتمّم الوصيّة التى فاتتنى[١٠]، لم يُرجعها فى شكلها المنطقي والطبيعى الذى يُفرّح الكثيرين ممن لهم نفس حالتكم[١١] كالاشتياق للمُكالمات التليفونيّة والسعى للمقابلات الشخصيّة، بل ولم يُرجعها فى أبسط صورة يعملها الأكثرون هُنا مُظهرين اهتماماً بذويهم كإرسال احدى الصور المُزخرفة الخاصة بالدير، لكنّه أرجعها[١٢] فى صورة اهتمام قوى وانشغال كُلّى بعدم حيدان واحدٍ منكُم عن الهدف الأساسى الذى غرسه الله داخل الإنسان ليتحرك دائماً صوبه ألا وهو الحياة الأبديّة كقول الحكيم سليمان "صَنَعَ الْكُلَّ حَسَناً فِي وَقْتِهِ وَأَيْضاً **جَعَلَ الأَبَدِيَّةَ فِي قَلْبِهِمِ** الَّتِي بِلاَهَا لاَ يُدْرِكُ الإنسان الْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ اللَّهُ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ" (جا ٣ : ١١).

شهوة بولس لخلاص ذويه

ولا يعتب واحدٌ منكم علىّ فى هذا الأمر[١٣] لأنه كان عند بولس الرسول فقال "أَقُولُ الصِّدْقَ فِي الْمَسِيحِ لاَ أَكْذِبُ وَضَمِيرِي شَاهِدٌ لِي بِالرُّوحِ الْقُدُسِ: إِنَّ لِي حُزْناً عَظِيماً وَوَجَعاً فِي قَلْبِي لاَ يَنْقَطِعُ! فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكُونُ أَنَا نَفْسِي مَحْرُوماً مِنَ الْمَسِيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنْسِبَائِي حَسَبَ الْجَسَدِ" (رو ٩ : ١ – ٣)، وكان عند آخر يُحبه (.....) جدّاً هو الأب متى المسكين الذى قال لأحد

---

[١٠] التى تقول "وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَعْتَنِي بِخَاصَّتِهِ، وَلاَ سِيَّمَا أَهْلُ بَيْتِهِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الإِيمَانَ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ" (١تي ٥ : ٨).

[١١] التى هى فراق أحد الأبناء للترهّب.

[١٢] أى الفرصة.

[١٣] أى تلك الغيرة وهذا الانشغال.

أصدقائه فى رسالة يُعزّيه فيها عن بعض متاعبه [بودى يا أخى الحبيب الذى احبه من عمق روحى، وأتوسّل بدموع، لو كان هذا ممكناً أن أتنازل عن نصف ما أستمتع به من سلام أو حتى كله ليكون لك].

الفتور وباء المسيحيّة

على أن الحزن الذى كان عند بولس الرسول والذى أدّى به إلى غيره جعلته يتمنّى لو كان محروماً من المسيح لأجل اليهود الذين لم يؤمنّوا به بعد يختلف بعض الشئ عن الذى سَبَّبَ لى غيرة جعلتنى أهتم بارسال تلك الرساله اليكم، فهو كان حزيناً على عدم إيمانهم بالمسيح بخلافكم أنتم المؤمنون به والمُعتمدون لاسمه، لكن هل يكتفى المؤمن بكونه مسيحيّاً مؤمنّاً بالرب؟ ليُصيّره هذا الاكتفاء بلا روح[١٤]، وبلا نضارة بل بالأحرى يبوسة[١٥] فيفسد ملحه بعدما كان مفروضاً عليه وموضوعاً أن يُملّح الأرض كلها **بنور المسيح** الذي فيه والذي من شأنه أن يجتذب الآخرين لتمجيد أسمه القدوس، **ويسلوكه الحسن** الذى من حاله أن يجعل الذين كانوا يَفْتَرُونَ ويُجدّفون، يُمجّدون الله فى يوم

---

[١٤] كقول النبى "وَيْلٌ لِلْقَائِلِ لِلْعُودِ: اسْتَيْقِظْ! وَلِلْحَجَرِ الأَصَمِّ: انْتَبِهْ! أَهُوَ يُعَلِّمُ؟ هَا هُوَ مَطْلِيٌّ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلاَ رُوحَ الْبَتَّةَ فِي دَاخِلِهِ!" (حب ٢ : ١٩).

[١٥] "قُلْ: هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَلْ تَنْجَحُ؟ أَفَلاَ يَقْلَعُ أُصُولَهَا وَيَقْطَعُ ثَمَرَهَا فَتَيْبَسَ؟ كُلُّ مِنْ أَوْرَاقِ أَغْصَانِهَا تَيْبَسُ، وَلَيْسَ بِذِرَاعٍ عَظِيمَةٍ أَوْ بِشَعْبٍ كَثِيرٍ لِيَقْلَعُوهَا مِنْ أُصُولِهَا. هَا هِيَ الْمَغْرُوسَةُ، فَهَلْ تَنْجَحُ؟ أَلاَ تَيْبَسُ يَبَساً كَأَنَّ رِيحاً شَرْقِيَّةً أَصَابَتْهَا؟ فِي خَمَائِلِ نَبْتِهَا تَيْبَسُ" (حز ١٧ : ٩-١٠)، "خَجِلَ الْفَلاَّحُونَ. وَلْوَلَ الْكَرَّامُونَ عَلَى الْحِنْطَةِ وَعَلَى الشَّعِيرِ لأَنَّهُ قَدْ تَلِفَ حَصِيدُ الْحَقْلِ. اَلْجَفْنَةُ يَبِسَتْ وَالتِّينَةُ ذَبُلَتْ. الرُّمَّانَةُ وَالنَّخْلَةُ وَالتُّفَّاحَةُ كُلُّ أَشْجَارِ الْحَقْلِ يَبِسَتْ. إِنَّهُ قَدْ يَبِسَتِ الْبَهْجَةُ مِنْ بَنِي الْبَشَرِ" (يوئيل ١ : ١١-١٢)، "وَخَرَجَ مَلاَكٌ آخَرُ مِنَ الْهَيْكَلِ، يَصْرُخُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ إِلَى الْجَالِسِ عَلَى السَّحَابَةِ: «أَرْسِلْ مِنْجَلَكَ وَاحْصُدْ، لأَنَّهُ قَدْ جَاءَتِ السَّاعَةُ لِلْحَصَادِ، إِذْ قَدْ يَبِسَ حَصِيدُ الأَرْضِ" (رؤ ١٤ : ١٥).

الافتقاد من أجل أعماله الحسنة التى لاحظوها (١بط ٣ : ١٢)! ثُمَّ يأتى "همّ هذا العالم وغرور غِناه" (مت ١٣ : ٢٢) ويخنقان الكلمة فيُكمّلان على البقيّة الباقية مما بقى عنده ليُشابه بذلك الفريسيين الذين اكتفوا ببر الايمان الذى لأبيهم ابراهيم (رو ٤ : ٩) فوبخهم يوحنا المعمدان (مت ٣ : ٩)[١٦]، ومن بعده السيد المسيح الذى قال لهم "فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّكُمْ إِنْ لَمْ يَزِدْ بِرُّكُمْ عَلَى الْكَتَبَةِ وَالْفَرِّيسِيِّينَ لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّماوَاتِ" (مت ٥ : ٢٠).

المسيحى مدعو لحياة الكمال

المسيحى مدعو لحياة الكمال كما يتضح من قول الرب لملاك كنيسة ساردس "كُنْ سَاهِراً وَشَدِّدْ مَا بَقِيَ، الَّذِي هُوَ عَتِيدٌ أَنْ يَمُوتَ، لأَنِّي لَمْ أَجِدْ أَعْمَالَكَ **كَامِلَةً** أَمَامَ اللهِ σου τὰ ἔργα πεπληρωμένα ἐνώπιον τοῦ θεοῦ μου" (رؤ ٣ : ٢)، حيثُ يُستخدم الفعل πληρόω بِهذا الموضِع لبيان ليس فقط انجاز الشئ إنما وأيضاً انجازه إلى التمام والكمال بما ويُبَيِّنُ قُدرة الإنسان على إتيان العمل الصالح إلى درجةٍ نسبيةٍ من الكمال، ذلك الفعل الذي لا يتم ولا يتحقق إلَّا باتمام ما أعلنه داود النبى فى المزمور حينما قال "حِدْ عَنِ الشَّرِّ وَاصْنَعِ الْخَيْرَ" (مز ٣٤ : ١٤).

خطوات عمليّة فى طريق الكمال

الحيّدان عن الشر

يبتدئ فعل الحيدان عن الشر بأن يخاف الإنسان الله ويتقيه ذلك الأمر الذي فيه طاعة للوصيّة القائلة "يَا ابْنِي اخْشَ الرَّبَّ وَالْمَلِكَ. لاَ تُخَالِطِ الْمُتَقَلِّبِينَ"

---

[١٦] "لاَ تَفْتَكِرُوا أَنْ تَقُولُوا فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَباً. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هَذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلاَداً لإِبْرَاهِيمَ" (مت ٣: ٩).

(أم ٢٤ : ٢١)، والتى تقول أيضاً "عَرَفْتُ أَنَّ كُلَّ مَا يَعْمَلُهُ اللَّهُ أَنَّهُ يَكُونُ إِلَى الأَبَدِ. لاَ شَيْءَ يُزَادُ عَلَيْهِ وَلاَ شَيْءَ يُنْقَصُ مِنْهُ وَأَنَّ اللَّهَ عَمِلَهُ حَتَّى يَخَافُوا أَمَامَهُ" (جا ٣ : ١٤)، وفيه حيدان عن الشر كقول الحكيم "مَخَافَةُ الرَّبِّ يَنْبُوعُ حَيَاةٍ لِلْحَيَدَانِ عَنْ أَشْرَاكِ الْمَوْتِ" (أم ١٤ : ٢٧)، وهكذا ففيه ثقة فى وعود الرب الذى أوصى بضرورة مخافته كقول الجامعة "فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ ثِقَةٌ شَدِيدَةٌ وَيَكُونُ لِبَنِيهِ مَلْجَأٌ" (أم ١٤ : ٢٦)، وفيه أيضاً تواضع ومسكنة "مَخَافَةُ الرَّبِّ أَدَبُ حِكْمَةٍ وَقَبْلَ الْكَرَامَةِ التَّوَاضُعُ" (أم ١٥ : ٣٣)، وفيه حكمة بل هو رأسها[١٧] كقول المزمور "رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ" (مز ١١١: ١٠).

التدقيق

ثم أن هذه المخافة تؤدى بالإنسان أو بالحرى تدفعه **للتدقيق** فى وصايا الرب لئلا يفوته الوعد بالدخول إلى الراحة الأبديّة "فَلْنَخَفْ، أَنَّهُ مَعَ بَقَاءِ وَعْدٍ بِالدُّخُولِ إِلَى رَاحَتِهِ، يُرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ أَنَّهُ قَدْ خَابَ مِنْهُ" (عب ٤ : ١)، فيصير مُجتهداً ضابطاً لنفسه فى كل شئ (١كو ٩ : ٢٥)[١٨] ساعياً لتطهيرها من كافة خطاياها المعنى الذي أشار إليه مار بطرس الرسول فى قوله "لأَنَّ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ هَذِهِ هُوَ أَعْمَى قَصِيرُ الْبَصَرِ، قَدْ نَسِيَ تَطْهِيرَ خَطَايَاهُ السَّالِفَةِ" (٢بط ١ : ٩)، وأعلنه يوحنا الحبيب حينما قال "وَكُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هَذَا الرَّجَاءُ بِهِ، يُطَهِّرُ نَفْسَهُ كَمَا هُوَ طَاهِرٌ" (١يو ٣ : ٣)، عازماً أن يكون حافظاً للوصيّة بلا لومٍ ولا عيب إلى مجئ الرب كأمر الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس "أُوصِيكَ أَمَامَ اللهِ الَّذِي يُحْيِي الْكُلَّ وَالْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي شَهِدَ لَدَى بِيلاَطُسَ الْبُنْطِيِّ بِالاِعْتِرَافِ الْحَسَنِ أَنْ

---

[١٧] بمعنى بدايتها.

[١٨] "٢٥كُلُّ مَنْ يُجَاهِدُ يَضْبِطُ نَفْسَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ. أَمَّا أُولَئِكَ فَلِكَيْ يَأْخُذُوا إِكْلِيلاً يَفْنَى وَأَمَّا نَحْنُ فَإِكْلِيلاً لاَ يَفْنَى".

تَحْفَظَ الْوَصِيَّةَ بِلاَ دَنَسٍ وَلاَ لَوْمٍ إِلَى ظُهُورِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ" (١تى ٦ : ١٣– ١٤).

الوصايا ليست ثقيلة

هذا التدقيق يُعطى الإنسان تدرج يُشعره أنَّ الوصايا ليست ثقيلة (١يو ٥ : ٣)[١٩]، فيتشجّع مُقدِماً بفرح على اتمامها شاعراً بمحبته الشديدة للرب الذى قال "إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ" (يو ١٤ : ١٥)، "اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي، وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي، وَأَنَا أُحِبُّهُ، وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي" (يو ١٤ : ٢١)، ومُتيقِّناً من محبة الرب له كقوله "إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً" (يو ١٤: ٢٣).

التلذذ

ابتداء الإنسان بِأن يسلك بِتَدقيق ثُمَّ شعوره الواثق بِأن الوصايا ليست ثقيلة الإتمام والتنفيذ إنما هي في قُدرة استطاعته يؤول به الى التلذذ بالرب كوصيّة النبى "تَلَذَّذْ بِالرَّبِّ فَيُعْطِيَكَ سُؤْلَ قَلْبِكَ" (مز ٣٧: ٤)، ومن ثَمَّ يقبل على إتمام وتنفيذ الوصايا ليس خوفاً من العقاب لكن تلذّذاً بها وبواضعها مُختبراً ما أعلنه النبى حينما قال "مَا أَحْلَى قَوْلَكَ لِحَنَكِي! أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ لِفَمِي" (مز ١١٩ : ١٠٣)، وقوله أيضاً "وَأَتَلَذَّذُ بِوَصَايَاكَ الَّتِي أَحْبَبْتُ" (مز ١١٩ : ٤٧).

بيد أنَّ مشاعر التلذذ التي تُصاحب المُنَفِّذُ للوصيّة لا تنبعث من داخله وكأنَّها شيئاً روتينيّاً مُتكَلِّفاً إنما تنساب عليه بِفعل الروح القدس الذي يبعث

[١٩] قارن قول الجامعة "٥حَافِظُ الْوَصِيَّةِ لاَ يَشْعُرُ بِأَمْرٍ شَاقٍّ وَقَلْبُ الْحَكِيمِ يَعْرِفُ الْوَقْتَ وَالْحُكْمَ" (جا ٨ : ٥).

البهجة واللذة داخل نفس الإنسان لكي ما يستحث لديه لرغبة في إتمام الوصية حينما يعتريه الفتور أو تتكاتف عليه الأحزان، وكأنَّ تلك اللذة تصير بمثابة الوقود أو الدافع للإنسان لكي يقوى بشجاعةٍ على احتمال أيام التجربة أو الضيق!

صُنع الخير

التلذذ هو بدائة **صُنع الخير**، ذلك الفعل الذى يُمثّل الشق الثانى بل بالحرى الدرجة التالية فى طريق الكمال، والتلذذ يتبعهُ شعور الإنسان بمحبة شديدة ليسوع كالنار التى لا تقدر السيول أن تطفئها (نش ٨: ٧)[٢٠] فلا يعود يُدرك ما إذا كان فعل المحبة صادراً منه إلى الخارج أو أنه يأتى إليه من الخارج، وحينها يحسَّ أنَّ محبة المسيح صارت تُحاصره (٢كو ٥ : ١٤)[٢١] وتحصُره (مز ١٣٩ : ٥)[٢٢]، فيصير لسان حاله مع عذراء النشيد قائلاً "أَسْنِدُونِي بِأَقْرَاصِ الزَّبِيبِ. أَنْعِشُونِي بِالتُّفَّاحِ فَإِنِّي مَرِيضَةٌ حُبّاً" (نش ٢ : ٥).

النمو فى الطريق

هذا الشعور الذى يعترى المسيحى المُقدم على الدرجة التالية فى طريق الكمال يصل به لمحاولةٍ حثيثةٍ من جانبه لبناء روحه على الايمان الأقدس كوصية الرسول "وَأَمَّا أَنْتُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ فَابْنُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى إِيمَانِكُمُ الأَقْدَسِ، مُصَلِّينَ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ" (يه ٢٠) فيتحوّل من كونه ساعيّاً للحيدان عن الشر إلى مُشتهيّاً لصُنع الخير كقول إشعياء النبى "اِغْتَسِلُوا. تَنَقُّوا. اعْزِلُوا شَرَّ أَفْعَالِكُمْ

---

[٢٠] "٧مِيَاهٌ كَثِيرَةٌ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْفِئَ الْمَحَبَّةَ وَالسُّيُولُ لاَ تَغْمُرُهَا".

[٢١] "١٤لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا".

[٢٢] "٥مِنْ خَلْفٍ وَمِنْ قُدَّامٍ حَاصَرْتَنِي وَجَعَلْتَ عَلَيَّ يَدَكَ".

مِنْ أَمَامِ عَيْنَيَّ. **كُفُّوا عَنْ فِعْلِ الشَّرِّ. تَعَلَّمُوا فِعْلَ الْخَيْرِ.** اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ" (إش ١ : ١٦–١٧)، حيثُ نُلاحظ أنَّ الوصية بالكفِّ عن الشر تسبق مثيلتها بإبتداء عمل الخير والشروع فيه.

الامتناع عن الشر وشبه الشر

ثم أن محاولة الإنسان الجادة لصُنع الخير تدفعه دفعاً إلى الامتناع عن كل شر "وَشِبْهِ شَرٍّ" (١تس ٥ : ٢٢) الأمر الذي أوصى به مار بطرس الرسول بقوله "طَهِّرُوا نُفُوسَكُمْ فِي طَاعَةِ الْحَقِّ بِالرُّوحِ لِلْمَحَبَّةِ الأَخَوِيَّةِ الْعَدِيمَةِ الرِّيَاءِ، فَأَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضاً مِنْ قَلْبٍ طَاهِرٍ بِشِدَّةٍ" (١بط ١ : ٢٢)، وأشار إليه مار بولس الرسول في قوله لِأهل كورينثوس "كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي لَكِنْ لَيْسَ كُلُّ الأَشْيَاءِ تُوافِقُ. كُلُّ الأَشْيَاءِ تَحِلُّ لِي لَكِنْ لاَ يَتَسَلَّطُ عَلَيَّ شَيْءٌ" (١كو ٦ : ١١–١٢)[٢٣]، وفي وصيته لِتلميذه تيطُس "وَكَلاَماً صَحِيحاً غَيْرَ مَلُومٍ، لِكَيْ يُخْزَى الْمُضَادُّ، إِذْ لَيْسَ لَهُ شَيْءٌ رَدِيءٌ يَقُولُهُ عَنْكُمْ" (تيطُس ٢ : ٨)، مُبَيِّناً له ضرورة أن يُدقّق حتى فى كلامه ليصير بلا لومٍ ولا عيبٍ.

هذا التدقيق الذى يعمله الإنسان الساعى للكمال ،ليس خوفاً من العقاب لكن محبةً للرب، هو ما عبّر عنه الأب متى المسكين حينما قال [ما وجدت فى حياتى قوة ردتنى عن جهالتى أعظم من المحبة، المحبة عندى لها جرأة أشد سطوة على ضميرى من نار جُهنّم].

المحبة الكاملة نهاية الطريق

أخيراً يصل الإنسان إلى درجة المحبة الكاملة التى "تطرح الخوف خارجاً" (١يو ٤ : ١٨) والتى تُصيّره "إنساناً للهِ كَامِلاً، مُتَأَهِّباً لِكُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ" (٢تى

[٢٣] قارن أيضاً قوله " وَلْيَتَجَنَّبِ الإِثْمَ كُلُّ مَنْ يُسَمِّي اسْمَ الْمَسِيحِ" (٢تى ٢ : ١٩).

٣ : ١٧) ، فيُصبح مُزكّى "اجْتَهِدْ أَنْ تُقِيمَ نَفْسَكَ للهِ مُزَكّىً، عَامِلاً لاَ يُخْزَى، مُفَصِّلاً كَلِمَةَ الْحَقِّ بِالإِسْتِقَامَةِ" (٢تى ٢ : ١٥)، ذي قلباً كاملاً أمام الرب كدعوة النبى القائل "لِيَكُنْ قَلْبُكُمْ كَامِلاً لَدَى الرَّبِّ إِلَهِنَا إِذْ تَسِيرُونَ فِي فَرَائِضِهِ وَتَحْفَظُونَ وَصَايَاهُ كَهَذَا الْيَوْمِ" (١مل ٨ : ٦١)، وكشهوة آخر قال "لِيَكُنْ قَلْبِي كَامِلاً فِي فَرَائِضِكَ لِكَيْ لاَ أَخْزَى" (مز ١١٩ : ٨٠) ، ومن ثَمّ يجد نفسه مُتمِّماً للوصيّة الإلهيّة التى كان يظنها مُستحيلة الاتمام والتنفيذ "كُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (مت ٥ : ٤٨)، والتى سعى إليها قبله النبى داود "أَتَعَقَّلُ فِي طَرِيقٍ كَامِلٍ. مَتَى تَأْتِي إِلَيَّ؟" (مز ١٠١ : ٢) فأدركها كما يتضح من قوله بعدها مُباشرةً "أَسْلُكُ فِي كَمَالِ قَلْبِي فِي وَسَطِ بَيْتِي" (مز ١٠١ : ٢).

لا عيب فى تقديم المخافه لله

فلئن كان الرسول اذن، يُوصى بضرورة أن نُقدّم لكل واحدٍ حقه "أَعْطُوا الْجَمِيعَ حُقُوقَهُمُ: الْجِزْيَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِزْيَةُ. الْجِبَايَةَ لِمَنْ لَهُ الْجِبَايَةُ. وَالْخَوْفَ لِمَنْ لَهُ الْخَوْفُ. وَالإِكْرَامَ لِمَنْ لَهُ الإِكْرَامُ" (رو ١٣ : ٧) فلا عيب أن يبدأ الإنسان علاقته مع الله بمخافته مُتمماً الوصيّة من ناحية ومعطياً لنفسه الفرصة ليتدرج فى علاقته معه فيصل إلى درجة الكمال من ناحية أخرى، ولا يقل قائل بأنه لن يصل أبداً لدرجة الكمال ولذلك فهو يكتفى بالسلوك المُبتعد عن الشر! لأنه كما أن الطالب الذى يبتغى درجه التفوق قد لا يصل إليها بل على أقل تقدير ينال درجه عالية مقبولة، وأمّا الذى يكتفى بدرجة النجاح قد لا ينالها أبداً هكذا المسيحى الذى لا يبتغى درجة الكمال مُكتفيّاً بمحاولته للحيدان عن الشر لن يصل للكمال من ناحية وربما أيضاً لن يقدر على الحيدان عن الشر من ناحية أخرى!

مثال يؤكد أهمية الشروع في عمل الخير دون الاكتفاء بالابتعاد عن الشر

تتضح أهمية عمل الخير دون الاكتفاء بالابتعاد عن الشر من قصه الغنى الذى لمّا تقدّم للرب يسأله "أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ، أَيَّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِتَكُونَ لِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ؟" (مت ١٩ : ١٦) أعلن له أن نوال الحياه الأبديّة هو مُرتبطٌ بحفظ كل الوصايا "إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا" (مت ١٩ : ١٧) وليس بمجرد الحيدان عن الشر، ذلّك لأن حفظ الإنسان لكافة الوصايا كفيلاً بحد ذاته أن يحيد به عن اتيان الخطيّة[٢٤]، أمَّا اكتفاؤه بمجرّد الحيدان عن الشر فلا ينفعه إذ لا دافع له للاستمرار فى طريقه، ونلاحظ أن وصية السيد المسيح للشاب كانت توجب ضرورة حفظ الوصايا لا مجرّد قراءتها لأن الذى يقرأ قد ينسى ما قد قرأهُ أما الذى يجتهد فى الحفظ فحتماً يُعطه الرب حسب أمانته واجتهاده سعياً للكمال.

ما بين الزواج والرهبنة من حيث اقتبال السلام الداخلى

أمّا عن السلام الذى كان عند الأب متى المسكين والذى أراد أن يتنازل عنه لصديقه المُتعب والمُتضايق فلا يعنى اقتصاره على الأديرة فقط كتفكير البعض، وإلَّا لكان فى ذلك ظُلمٌ للذين لا يطلبون الرهبنة ولا يسعون إليها، وكان أيضاً مُناقضاً للإنجيل الذى قيل فى أحد مواضعه "وَلَكِنْ لِسَبَبِ الزِّنَا لِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ امْرَأَتُهُ وَلْيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ رَجُلُهَا. لِيُوفِ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ حَقَّهَا الْوَاجِبَ وَكَذَلِكَ الْمَرْأَةُ أَيْضاً الرَّجُلَ" (١كو ٧ : ٢-٣)، وقيل فيه أيضاً "وَأَمَّا الْمُتَزَوِّجُونَ فَأُوصِيهِمْ لاَ أَنَا بَلِ الرَّبُّ أَنْ لاَ تُفَارِقَ الْمَرْأَةُ رَجُلَهَا" (١كو ٧ : ١٠)، "إِذاً مَنْ زَوَّجَ فَحَسَناً يَفْعَلُ وَمَنْ لاَ يُزَوِّجُ يَفْعَلُ أَحْسَنَ" (١كو ٧ : ٣٨)، فلو أن الجميع

[٢٤] لمزيدٍ من التفاصيل عن هذه النقطة راجع كتابنا [فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ (١كو ١٥: ٥٢)]-المؤلِّف.

مدعوّون للرهبنة للتمتّع بهذا السلام فلماذا قال الرب "أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَراً وَأُنْثَى؟ وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاِثْنَانِ جَسَداً وَاحِداً. إِذاً لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إنسان" (مت ١٩ : ٤-٦)؟ ولماذا بارك عُرس قانا الجليل بحضوره وبآيته التى أتمّها فيه تأكيداً لتلك المُباركة (يو ٢ : ١)؟ ولماذا اختار بعضاً من تلاميذه من بين المُتزوجين كبطرس (لو ٤ : ٣٨)، ولماذا قيل عنه أنَّهُ "لا يُحابى بين الوجوه" (رو ٢ : ١١) وها هو يُحابى بين الذين يسكنون الصحارى فيهبهم سلامه وبين الآخرين فيحرمهم منه! وماذا سيعمل الذى يهرب من العالم للدير سعياً وراء الشعور الداخلى بالسلام الذى افتقده فى العالم فيُفاجأ أنَّهُ لا يزل لم يشعر به أيضاً[٢٥].

الله يهب سلامه للعالم كُلّه

فالروح القدس هو الذى يهب الإنسان السلام الداخلى كما يتضح من قول الرب "وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّياً آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ" (يو ١٤: ١٦)، وهو[٢٦] مالئٌ للعالم كله كما نُناجيه فى احدى صلوات الأجبية طالبين حضوره ليُطهّرنا من كل ما يُعكّر سلامنا فنقول [أيها الملك السمائى المُعزّى الحاضر فى كل مكان والمالئ الكل كنز الصالحات ومُعطى الحياة، هلم تفضّل وحل فينا وطهّرنا من كل دنس أيها الصالح وخلّص نفوسنا] ثم فى نفس الصلاة نُناجى الابن قائلين [كما كُنت مع تلاميذك أيها المُخلّص وأعطيتهم السلام، هلم أيضاً كُن معنا وخلّصنا ونجِ نفوسنا]، والرب عندما قال

---

[٢٥] نورد هذه النُقطة رداً على بعض الأفكار الخاطئة بِخصوص هذا الموضوع.

[٢٦] أى الروح.

"أَمَّا الْمُعَزِّي، الرُّوحُ الْقُدُسُ، الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الآبُ بِاسْمِي، فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ" (يو ١٤: ٢٦) لم يخُص فئه مُعيّنة بسلامه عن الأخرى فلم يقصد المُتزوجين فقط ولا البتوليين وحدهم بل الجميع.

من الذى يتمتّع بالسلام ومن الذى يُحرم منه

فلئن كان الله موجوداً فى كل مكان (مز ١٣٩ : ٧–٨)[٢٧]، وروحه يملأ الكل مُستعدّاً أن يهب الجميع السلام الذى يفوق كل عقل (في ٤: ٧) فمن هو الذى يفقد هذا السلام ومن هو الذى يتمتّع به[٢٨]؟

الانشغالات المُختلفة من أسباب فُقدان السلام

الإنسان ،أياً كان مكان وجوده وسُكناه، سواء بالدير أو بالعالم[٢٩] بانشغالاته الكثيرة التى **لا تنفع** "هَلْ بَدَلَتْ أُمَّةٌ آلِهَةً وَهِيَ لَيْسَتْ آلِهَةً؟ أَمَّا شَعْبِي فَقَدْ بَدَلَ مَجْدَهُ بِمَا لاَ يَنْفَعُ!" (إر ٢ : ١١)[٣٠]، و**لا تدوم** "بَاطِلُ الأَبَاطِيلِ قَالَ الْجَامِعَةُ. «بَاطِلُ الأَبَاطِيلِ الْكُلُّ بَاطِلٌ». مَا الْفَائِدَةُ لِلإِنسان مِنْ كُلِّ تَعَبِهِ الَّذِي يَتْعَبُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ؟ دَوْرٌ يَمْضِي وَدَوْرٌ يَجِيءُ وَالأَرْضُ قَائِمَةٌ إِلَى الأَبَدِ. وَالشَّمْسُ تُشْرِقُ وَالشَّمْسُ تَغْرُبُ وَتُسْرِعُ إِلَى مَوْضِعِهَا حَيْثُ تُشْرِقُ. اَلرِّيحُ تَذْهَبُ إِلَى الْجَنُوبِ وَتَدُورُ إِلَى الشِّمَالِ. تَذْهَبُ دَائِرَةً دَوَرَاناً وَإِلَى مَدَارَاتِهَا تَرْجِعُ الرِّيحُ. كُلُّ الأَنْهَارِ

---

[٢٧] "٧أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ ٨إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ".

[٢٨] سنتناول الفئة الأولى لأن عكس أسباب فُقدان السلام هى عينها وسيلة التمتّع به.

[٢٩] تُطلق لفظة [العالم] في الوسط الرهباني على كل ما هو ليس ديرٌ.

[٣٠] قارن قول الكتاب أيضاً "مَاذَا نَفَعَ التِّمْثَالُ الْمَنْحُوتُ حَتَّى نَحَتَهُ صَانِعُهُ أَوِ الْمَسْبُوكُ وَمُعَلِّمُ الْكَذِبِ حَتَّى إِنَّ الصَّانِعَ صَنْعَةَ يَتَّكِلُ عَلَيْهَا فَيَصْنَعُ أَوْثَاناً بُكْماً؟" (حب ٢ : ١٨).

تَجْرِي إِلَى الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ لَيْسَ بِمَلآنَ. إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي جَرَتْ مِنْهُ الأَنْهَارُ إِلَى هُنَاكَ تَذْهَبُ رَاجِعَةً" (جا ١ : ٢–٧)[٣١]، بل والتى **تُسبّب التعب** "اَلْمُولَعُ بِالْكَسْبِ يُكَدِّرُ بَيْتَهُ وَالْكَارِهُ الْهَدَايَا يَعِيشُ" (أم ١٥ : ٢٧)، يحيد عن الوصيّة الإلهيّة الآمرة بطلب "ملكوت الله و برّه" (مت ٦: ٣٣) فينطفئ داخله الروح (١تس ٥ : ١٩)[٣٢] الذى يهبه سلاماً داخليّاً يفوق العقل، وهكذا يمضى فى شقاءٍ وضيقٍ وحزنٍ مُعتقداً أن عدم هروبه للبريّة هو سبب شقاؤه فى حين أن عدم استخدامه لما فى العالم بتعقّل كقول الرسول "وَالَّذِينَ يَسْتَعْمِلُونَ هَذَا الْعَالَمَ كَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَعْمِلُونَهُ. لأَنَّ هَيْئَةَ هَذَا الْعَالَمِ تَزُولُ" (١كو ٧ : ٣١) هو السبب فى فقدانه للسلام.

الله يجتذب الإنسان ليطلبه ويسعى إليه

على أن الله من محبته العجيبة للبشر جعل الاحساس الداخلى بالسلام للإنسان محصوراً فى طلب الملكوت فقط إذ هو يعلم بميلهُ[٣٣] الدائم وسعيه الحثيث إلى الأرضيات وإلى الشر لأن "كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ" (تك ٦ : ٥)، ولو أنَّهُ قد جعل شعور الإنسان بالسلام فى أى شئ أرضي آخر لحاد الإنسان عن طلب الملكوت ساعياً لنوال ذلك الشئ، ولذلك فأى طريق آخر يلهجه الإنسان أو أى انشغال آخر يستهويه لا يشعر فيه

---

[٣١] قارن قول الكتاب "يُوجَدُ شَرٌّ خَبِيثٌ رَأَيْتُهُ تَحْتَ الشَّمْسِ: ثَرْوَةٌ مَصُونَةٌ لِصَاحِبِهَا لِضَرَرِهِ. فَهَلَكَتْ تِلْكَ الثَّرْوَةُ بِأَمْرٍ سَيِّئٍ ثُمَّ وَلَدَ ابْناً وَمَا بِيَدِهِ شَيْءٌ. كَمَا خَرَجَ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ عُرْيَاناً يَرْجِعُ ذَاهِباً كَمَا جَاءَ وَلاَ يَأْخُذُ شَيْئاً مِنْ تَعَبِهِ فَيَذْهَبُ بِهِ فِي يَدِهِ. وَهَذَا أَيْضاً مَصِيبَةٌ رَدِيئَةٌ. فِي كُلِّ شَيْءٍ كَمَا جَاءَ هَكَذَا يَذْهَبُ فَأَيَّةُ مَنْفَعَةٍ لَهُ لِلَّذِي تَعِبَ لِلرِّيحِ؟" (جا ٥ : ١٣–١٦).

[٣٢] "١٩لاَ تُطْفِئُوا الرُّوحَ".

[٣٣] المقصود: ميل الإنسان.

بسلام مهما بلغ فيه من شأنٍ مركزٍ ونجاحٍ، ومن ثَمَّ يرجع لطلب الملكوت ليتمتّع بالسلام الإلهى والذي يختبره ليس فى آخر الطريق المؤدى للملكوت بل وأيضاً فى بدائته. وكأنَّ الرب لحنانه ولمعرفته بضعف الطبيعة البشريّة الخاطئة يجتذب الإنسان ليطلب الملكوت عن طريق بعض التعزيات الخفية أثناء سلوكه بالطريق الضيق والكرب (مت ٧: ١٤) وذلك لكي ما يستحث لديه الرغبة في احتمال آلام الطريق الروحي بصبرٍ وبِشُكرٍ أملاً في بلوغ نهاية الطريق الذي يؤول إلى الملكوت.

الآلام التى يسمح بها الله سببٌ لخلاص الإنسان[٣٤]

نفس الأمر نقوله عندما يسمح الله للإنسان بالاحتياج لبعض الضروريات[٣٥]، وكأنَّ الله إنما يستدرج الإنسان لطلبه من خلال احتياجه إليه ومن ثَمَّ يهبه سلاماً داخليّاً عجيباً قد يُنسّى الإنسان ما كان يطلبه، وهو عينه المعنى الذي عَبَّرَ عنه الأب متى المسكين في قوله مناجياً نفسه **[كم مرّة وقفت أمام الله ومعى مشاكل هذا عددها، وأسئلة عديدة، أسئلة مُستعصيّة ليس لها حل، وكانت تتحوّل إلى بُكاءٍ ومن البُكاء إلى نوعٍ من الحزن لعدم وجود حل، وأطلب من صلاة الى صلاة لعلّ الرب يستجيب، ثم حدث مرّة ومرّات أننى أحسست أنَّ الرب قريب وقد اقترب إلىَّ، فلا أحتمل وأقوم واصلى فأجد أن كل الأسئلة سقطت ولم يقف أمامى أى سؤال، ليس لأنه قد وُجدت حلولاً**

---

[٣٤] غني عن الذكر أنَّ الآلام نفسها لا تُخَلِّص الإنسان، إنما هي وسيلة يستخدمها الله بِحكمةٍ لديه وبسماحٍ منه لكي ما يلفت انتباه الإنسان المنشغل بالعالم والأرضيات إلى أنهُ غريبٌ على الأرض وأنهّ في احتياجٍ لكي ما يسعى بِكامل نشاطه لاكتشاف أن وطنه الأصلي والدائم هو الملكوت الأبدي والذي يجب عليه أن يجتهد تمام الجُهد لكي يبلغه ولا يُضَيِّعهُ.

[٣٥] مثل الاحتياج للزواج أو للانجاب أو للحصول على عمل أو حتى للصحة الجسديّة.

للأسئلة، بل تكون هى نفسها قد أُلغيت فلا أجد للسؤال مكاناً لا فى حياتى ولا فى نفسى، إنَّ وجود المسيح فيّ قد حلّ كل المشاكل ولم يعُد هُناك سؤال يحتاج إلى اجابه]، وفى قوله أيضاً **[إذا تحسست وجود الرب فى حياتى ففى الحال لا أجد مشاكل، وقد أصبحت الأسئلة ليست لها قيمة فى وجوده، فالعقل كان يلح علىَّ بالسؤال، وإذا لم يرد الرب علىّ أحزن، ولكن حالما أشعر أن الرب موجود فىّ وأنَّهُ قريبٌ منى واشعر به فى حياتى أجد أن السؤال صار سخيفاً لدرجة أنَّهُ لا يحتاج إلى اجابة لأنه قد تلاشى بكُليّته فى اختبار الاحساس بوجود الله]**.

الإنسان قد يُزيد تعبه بنفسه

أمّا الإنسان الذى لا ينتبه لهذا الاسلوب الإلهى المُتكرّر، يندفع بأكثر فى انشغالاته ،الضرورى منها وغير الضرورى، ظنّاً منه أنَّهَا تُنسيه تعبه ومن ثَمَّ تهبه سلاماً وراحةً فيتعب بأكثر مما تَعَبَ، ونفس الأمر نقوله عن أحداث الاضطهادات المُختلفة والمُتكرّرة، فكثرة انشغالات الإنسان بها وقلقه حيالها تحجب رؤيته فلا يقوم بالربط بينها[٣٦] وبين اعلانات الانجيل التى تُوضّح مدى حكمة الله فى ضبطه لكافة الأحداث كقوله "٣٣قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِيَّ سَلاَمٌ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلَكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يو ١٦: ٣٣)، فيفقد سلامه الداخلى شاعراً بتعب الترك والتخلّى من جانب الله الذى هو عينه من سمح بكافة الأحداث والظروف لصالح الجميع بل ولخير المُضطهدين أنفسهم.

---

[٣٦] أى تلك الأحداث.

ولا يقل قائلٌ أن هذه الدرجة تخص أقوياء، لا ضعيفى الإيمان لأن الرب فى الكتاب المُقدّس عاتب المُندفع الواثق من ايمانه[٣٧] واستجاب لمن اعترف بضعف ايمانه قائلاً "أُومِنُ يَا سَيِّدُ، فَأَعِنْ عَدَمَ إِيمَانِي" (مر ٩: ٢٤) ومن ثَمَّ شفى ابنه من الروح النجس.

ما بين استخدام الإنسان للعالم وانشغاله به

إذن، الوجود بالعالم ليس من شأنهُ أن يُفقد الإنسان سلامه! لكن ما يُفقده اياه ويُضيّعه هو الانشغال بما فى العالم، وهذا عينه ما تؤكِّدهُ بعض الشخصيات الإنجيليّة التى لم تسكن البرارى والصحارى ومع ذلك كان لها سلاماً داخليّاً نابعاً عن علاقةٍ قويّةٍ بالرب وسعى دائم فى إثر الملكوت، كابراهيم وصموئيل النبي وداود وبطرس وكُلهم كانوا متزوجين وبعضهم كان له أبناءٌ ومن ثَمَّ كانت لهم انشغالات لكنّها لم تحرمهم من السعى الدائم والدؤوب فى إثر الملكوت!

لفظه [العالم] فى استخدامات الانجيل

ولا يغيب عن بال إنسان أن كلمة العالم فى اعلان الرب الذى قال فيه "٣٣قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهَذَا لِيَكُونَ لَكُمْ فِيَّ سَلاَمٌ. فِي الْعَالَمِ سَيَكُونُ لَكُمْ ضِيقٌ، وَلَكِنْ ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ" (يو ١٦: ٣٣) تشمل كل مكان يسكنه من يدعو باسم الرب فلا يطيقه الشيطان وهكذا يُهيّج عليه أتباعه، فالذى يسكن البرّيّة له نصيب من هذا الضيق والذى يسكن المُدن له نصيب أيضاً من التعب، وبديهى

[٣٧] مثل بطرس الذى قال له "يَا قَلِيلَ الإِيمَانِ لِمَاذَا شَكَكْتَ؟" (مت ١٤: ٣١) أى لماذا تشككت بعدما أعلنت عن إيمانك القوى ونزلت من المركب للسير على البحر الهائج.

أنَّ الضيق الأول يختلف عن الآخر[٣٨]، لكن هدف الله منهما واحد[٣٩] هو أن يُزكّى إيمان كلا الفريقين لكي يؤهلهم لمجدٍ أكثر بحسب ما احتملوا وصبروا بشكر وبفرح كقول الرسول بولس "إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضاً مَعَهُ" (رو ٨: ١٧)، وهكذا يشعر الإنسان غير المُنشغل بالعالم أنه ،أى العالم، كله بكافة أحداثه واضطراباته وضيقاته وأتعابه وأفراحه ومُعزّياته يُمثّل جزءاً يسيراً جداً لا يزيد عن قطرة واحدة أمام احدى صفات الله الذى يقف أمامه ويلتمسه ويحبه، وهكذا لا تسود عليه أية أحداث ولا تُفقده سلامه الداخلى ومن ثَمَّ يبتدئ يشعر بصغر العالم فى عينيه مختبراً قول النبى فى المزمور "١اَللهُ لَنَا مَلْجَأٌ وَقُوَّةٌ. عَوْناً فِي الضِّيقَاتِ وُجِدَ شَدِيداً. ٢لِذَلِكَ لاَ نَخْشَى وَلَوْ تَزَحْزَحَتِ الأَرْضُ وَلَوِ انْقَلَبَتِ الْجِبَالُ إِلَى قَلْبِ الْبِحَارِ" (مز ٤٦: ١-٢).

رساله المسيحى الحقيقيّة

المسيحى الذى تشغله الأرضيّات لا يفقد فقط سلامه الداخلى فيحيد عن الخلاص، إنما وأيضاً يفوته تماماً أن يُدرك رسالته الحقيقيّة من وجوده فى العالم ألا وهى السعى لخلاص الآخرين إتماماً لِوصيّة الرب "بِهَذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي: أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ كَثِيرٍ فَتَكُونُونَ" (يو ١٥ : ٨)، "لَيْسَ أَنْتُمُ اخْتَرْتُمُونِي بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ، وَأَقَمْتُكُمْ لِتَذْهَبُوا وَتَأْتُوا بِثَمَرٍ، وَيَدُومَ ثَمَرُكُمْ، لِكَيْ يُعْطِيَكُمُ الآبُ كُلَّ مَا طَلَبْتُمْ بِاسْمِي" (يو ١٥ : ١٦)[٤٠]، لكنّه حينما يدرك معنى الخلاص الذى وهبه الرب

---

[٣٨] فساكن البرّيّة لن يُجَرَّب ،في أغلب الأحيان، بالاحتياج للزواج أو للانجاب أو للمال أو للعمل وهكذا فساكن المُدن لن يُجرّب بما يُجرّب به ساكن البرّيّة.

[٣٩] لا نقصد أنَّ الله هو الذي يجلب الضيق ،حاشا، إنما هو يُحَوّل الضيق إلى فرح والتعب إلى راحة.

[٤٠] قارن وصية الرسول بولس بِخصوص نفس النقطة "لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةِ لِلَّهِ، فِي الَّذِينَ يَخْلُصُونَ وَفِي الَّذِينَ يَهْلِكُونَ" (٢كو ٢ : ١٥).

يسوع مجاناً (رو ٣: ٢٤)[٤١] بنعمته (أف ٢ : ٥)[٤٢] فيطفق مُتغنّياً مع النبى "الرَّبُّ حَنَّانٌ وَصِدِّيقٌ وَإِلَهُنَا رَحِيمٌ. الرَّبُّ حَافِظُ الْبُسَطَاءِ. تَذَلَّلْتُ فَخَلَّصَنِي. ارْجِعِي يَا نَفْسِي إِلَى رَاحَتِكِ لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكِ. لأَنَّكَ أَنْقَذْتَ نَفْسِي مِنَ الْمَوْتِ وَعَيْنِي مِنَ الدَّمْعَةِ وَرِجْلَيَّ مِنَ الزَّلَقِ. أَسْلُكُ قُدَّامَ الرَّبِّ فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ" (مز ١١٦ : ٥–٩)، لا يَعُد يطيق رؤية أُناساً لم يخلُصوا بعد إذ تأخُذه الحمية بسببهم (مز ١١٩ : ٥٣) فيصير ،بعدما كان يسعى بالكاد لخلاص نفسه، طالباً مُصلّياً لهم من أجل أن يقبلوا خلاص الرب.

الكرازة للآخرين ليست ارتقاء للإنسان فوق ما ينبغى له

بيد أنَّ المسيحى فى ذلك[٤٣] لا يكون مرتئياً فوق ما ينبغى له أن يرتئى (رو ١٢ : ٣)، ذلك لأنَّهُ يُتمّم أمراً إلهيَّاً بالكرازة **للمؤمنين** الذين فترت حرارتهم الروحيّة كقول الرسول "لِتَسْكُنْ فِيكُمْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ بِغِنىً، وَأَنْتُمْ بِكُلِّ حِكْمَةٍ مُعَلِّمُونَ وَمُنْذِرُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ، بِنِعْمَةٍ، مُتَرَنِّمِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ" (كو ٣ : ١٦)، و**لغير المؤمنين** كما أوصى قائلاً "اُسْلُكُوا بِحِكْمَةٍ مِنْ جِهَةِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ، مُفْتَدِينَ الْوَقْتَ.٦لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ كُلَّ حِينٍ بِنِعْمَةٍ، مُصْلَحاً بِمِلْحٍ، لِتَعْلَمُوا كَيْفَ يَجِبُ انْ تُجَاوِبُوا كُلَّ وَاحِدٍ" (كو ٤ : ٥)، و**للمُجدّفين** "لكى لا يُجدّف على الاسم الحسن" (رو ٢: ٢٤)[٤٤]، و**للمُفترين** "وَأَنْ تَكُونَ سِيرَتُكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ حَسَنَةً، لِكَيْ يَكُونُوا فِي مَا يَفْتَرُونَ عَلَيْكُمْ كَفَاعِلِي شَرٍّ يُمَجِّدُونَ اللهَ فِي يَوْمِ الاِفْتِقَادِ، مِنْ أَجْلِ أَعْمَالِكُمُ الْحَسَنَةِ الَّتِي

---

[٤١] "٢٤مُتَبَرَّرِينَ مَجَّاناً بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ".

[٤٢] "٥وَنَحْنُ أَمْوَاتٌ بِالْخَطَايَا أَحْيَانَا مَعَ الْمَسِيحِ، بِالنِّعْمَةِ أَنْتُمْ مُخَلَّصُونَ".

[٤٣] أى فى كرازته للآخرين.

[٤٤] "٢٤لأَنَّ اسْمَ اللهِ يُجَدَّفُ عَلَيْهِ بِسَبَبِكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ".

يُلاَحِظُونَهَا" (١بط ٢ : ١٢)، و**للأغبياء** الذين يجهلون حقائق الايمان فيسخرون منه " لأَنَّ هَكَذَا هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ أَنْ تَفْعَلُوا الْخَيْرَ فَتُسَكِّتُوا جَهَالَةَ النَّاسِ الأَغْبِيَاءِ" (١بط ٢ : ١٥)، و**للمُقاومين** "مُؤَدِّباً بِالْوَدَاعَةِ الْمُقَاوِمِينَ، عَسَى أَنْ يُعْطِيَهُمُ اللهُ تَوْبَةً لِمَعْرِفَةِ الْحَقِّ، فَيَسْتَفِيقُوا مِنْ فَخِّ إِبْلِيسَ إِذْ قَدِ اقْتَنَصَهُمْ لإِرَادَتِهِ" (٢تى ٢ : ٢٥-٢٦)، و**للاهين** " لأَنَّهُ بِرُجُوعِكُمْ إِلَى الرَّبِّ يَجِدُ إِخْوَتُكُمْ وَبَنُوكُمْ رَحْمَةً أَمَامَ الَّذِينَ يَسْبُونَهُمْ فَيَرْجِعُونَ إِلَى هَذِهِ الأَرْضِ لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَكُمْ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ وَلاَ يُحَوِّلُ وَجْهَهُ عَنْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِ" (٢أخ ٣٠ : ٩)، و**لشعوبٍ وامَّمٍ** بأكملها "إِذْ صِرْتَ عَزِيزاً فِي عَيْنَيَّ مُكَرَّماً وَأَنَا قَدْ أَحْبَبْتُكَ. أُعْطِي أُنَاساً عِوَضَكَ وَشُعُوباً عِوَضَ نَفْسِكَ" (إش ٤٣ : ٤)، **ولمُدنٍ كثيرةٍ** "وَاطْلُبُوا سَلاَمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي سَبَيْتُكُمْ إِلَيْهَا وَصَلُّوا لأَجْلِهَا إِلَى الرَّبِّ لأَنَّهُ بِسَلاَمِهَا يَكُونُ لَكُمْ سَلاَمٌ" (إر ٢٩ : ٧)، وأخيراً **للأرض كلها** " أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ، وَلَكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟" (مت ٥ : ١٣).

الكرازة من الناحّة الأضيق

أمّا الذين لا يُكملون رسالتهم مُحتجين بعدم قدرتهم وضعف فهمهم على العمل الكرازي، فعلى الأقل لا يجب أن يفوتهم اتمام رسالتهم من الناحيّة الأضيق كقول القديس يوحنا ذهبى الفم [لا أستطيع أن أتصوّر خلاص إنسان لا يعمل على خلاص غيره]، وكلمة [غيره] هُنا فى معناها الأضيق تُفهم على المستوى العائلى، فهل لا يقدر الشخص ،أيَّاً كان، أن يُبشّر اسرته وذويه بالخلاص وبالأبديّة؟! وإن كان يخجل! أفهل لا يقدر أن يبحث عن أية وسيلة يُكلّمهم بها ويُبشّرهم بواسطتها؟ فان لم يجد فليجحد ذاته ويكسر مشيئته ويُجازف فيُكلّمهم لأنه أمرٌ هامٌ جدّاً اذ أنَّ الحيدان عنه لا يُسبّب تعباً يسيراً أو ألماً

بسيطاً لكنّه يؤدى للهلاك من ناحية ويحرمهم من لقاء يسوع على السحاب حال مجيئه فى مجده من ناحية أخرى (مت ٢٤ : ٢٠).

يقول القديس اغسطينوس عن وجوب الكرازة باسم الرب والشهادة له بأية شكل أو طريقة [الثمرة التى يطلبها الله مِنّا هى أن نقوم نحن بالفلاحة عنده فى كرمه]، ويقول [اهتم بِخلاص كل أهل منزلك بِسهر فان فعلت هذا تكون قد استخدمت الوزنة]، ويقول أيضاً [عند اكتمال شعلة الحب تتوق فى النفس رغبة قويه لِتعليم الآخرين وتسليمهم ثِمار حياة التأمل]، وأخيراً يقول [عليكم أن تقوموا بأعمال وظيفتنا ،يقصد الخدمة والرعاية، فى منازلكم]، وبِنَفس الحال نهج القديس يوحنا ذهبى الفم بقوله [لنلاحظ هذه النقمة، ليس اننا قد تحررنا من هذه الخطيّة، بل وأن نخلص آخرين منها ايضاً، ليتنا لا نتوقف عن العمل بل يقدم كل منا لله عشرة أصدقاء يصلح حالهم]، وهكذا ففى حديثه عن الغائبين عن الاجتماعات قال [كم انا مغموم! يا له من جزء كبير من جسد الكنيسة أشبه بجثة هامدة، اتقولون ما لنا وهذا الأمر؟ أقول لديكم امكانية عظيمة بِخصوص اخوتكم، انكم مسؤلون ان كنتم لا تنصحونهم وتصدونهم عن الشر وتجتذبونهم بِقوة إلى ههنا وتسحبونهم من تراخيهم الشديد إذ لا يليق بالإنسان أن يهتم بِنفسه فقط بل يلزمه أن يهتم بالآخرين أيضاً، فإنَّهُ أى فائدة لِمصباح لا يضئ للجالسين فى الظُلمة وأى نفع للمسيحى الذى لا يفيد غيره ولا يرد أحداً إلى الفضيلة؟]، وقال [مداومة النصيحة والتعليم يحثّان الإنسان على الاجتهاد واصلاح حاله، فى هذا اؤكِّد الحقيقة مقتبساً المثل العام (قطرات الماء المتواترة تشق الصخر)]، وقال أيضاً [لا يكن اجتماعكم هذا باطلاً فإنِّى لا اكف عن التوسل إليكم بكل غيرة قائلاً لكم (تعالوا باخوتكم إلى هنا، ارشدوا الضالين علموهم بالعمل لا بالكلام فقط)، فانه يليق بكم وانتم خارجون من هذا الموضع أن تعلنوا عنه انه موضع مقدس، تخرجون كاناسٍ نازلون من السماء عينها،

مملؤون وقاراً وحكمة ناطقين عاملين كل شئ بِلياقة]، وأخيراً قال [عَلِّموا الذين فى خارج الكنيسة انكم فى صُحبة السيرافيم، علمونهم انكم محصون مع السمائيين، مُعَدون فى مصاف الملائكة، تتحدثون مع الرب وتكونون فى صُحبة المسيح].

الإنسان بسلوكه المسيحى يكرز بدون كلام

أمّا لو لم يجد الشخص الفرصة ولا الجرأة الكافية للكلام فإليه وسيلة فعّالة تؤدى لنفس الغرض بدون كلام يُخجله لكنها ،أى الوسيلة، تحتاج منه أن يجحد ذاته ويكسر مشيئته لكى يقدر بسهولة أن يعمل هو نفسه ،حتى ولو غصباً، ما أراد أن يتكلم عنه ويُبشّر به، بل وحتى لو أنَّهُ قد وجد طريقاً للكلام والكرازه فلن يكون لهما المصداقيّة إلَّا لو أظهر هو نفسه اهتماماً وانشغالاً بما يتكلّم عنه، وهذا عينه ما أعلنه الرب فى قوله "١٩مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهَذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (مت ٥: ١٩)، فإن لم ينشغل الشخص بالسعى وراء الهدف الأساسى الذى جعله الله فى قلوب البشر ألا وهو الحياة الأبدية[٤٥]، فكيف يُنادى به لآخرين؟ وإن نخسه الروح فلم يقدر على السكوت (أع ٤: ٢٠)[٤٦] وتكلّم مُبشّراً بالأبدية والملكوت والخلاص أفهل يُصدّقه سامعيه وهم عالمون بسلوكه الفاتر المائل للروتينيّة الروحيّة؟ وإذا لم يهتم الإنسان بأبديَّتهُ وبخلاص ذويه مُكتفيّاً بتأمين حياتهم الأرضيّة لصار حتماً فى تعب إذ ينطبق عليه قول الجامعة "١٨كَرِهْتُ كُلَّ تَعَبِي الَّذِي تَعِبْتُ فِيهِ تَحْتَ الشَّمْسِ حَيْثُ أَتْرُكُهُ لِلإِنْسَانِ الَّذِي يَكُونُ بَعْدِي. ١٩وَمَنْ يَعْلَمُ هَلْ يَكُونُ حَكِيماً أَوْ جَاهِلاً وَيَسْتَوْلِي عَلَى كُلِّ

---

[٤٥] "صَنَعَ الْكُلَّ حَسَناً فِي وَقْتِهِ وَأَيْضاً **جَعَلَ الأَبَدِيَّةَ فِي قَلْبِهِمِ** الَّتِي بِلاَهَا لاَ يُدْرِكُ الإنسان الْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ اللَّهُ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ " (جا ٣ : ١١).

[٤٦] راجع قول بطرس الرسول لرؤساء الكهنة "٢٠لأَنَّنَا نَحْنُ لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا".

تَعَبِي الَّذِي تَعِبْتُ فِيهِ وَأَظْهَرْتُ فِيهِ حِكْمَتِي تَحْتَ الشَّمْسِ؟ هَذَا أَيْضاً بَاطِلٌ" (جا ٢: ١٨-١٩).

يقول العلامة والفيلسوف المسيحى أثيناغوراس فى احتجاجه عن المسيحيين لدى الامبراطور [اسمحوا لى هُنا أن أرفع صوتى بِشجاعة وبِجرأة، فى صياح عالٍ وصراخ مسموع مُحتجاً لدى أُمراء الفلسفة، لأنَّهُ مَن مِن اولئك الذين يردون القياسات ويوضحون المُبهمات ويشرحون اصول الكلمات، أو من اولئك الذين يعلمون المُتشاكلات والمترادفات، وما هو الموضوع وما هو المحمول، والذين وعدوا تلاميذهم ان يُسعدوهم بهذه الامور وأمثالها، من منهم ،أى من الفلاسفة الوثنيين، قد طهر أرواحهم (كالمسيحيين) فجعلهم يُحبون الأعداء بدل ان يكرهوهم، وان يدعوا لهم بالبركة بدلاً من أن يتكلموا شراً على من يلعنهم، ويُصلون من أجل الذين يأتمرون على حياتهم؟ قد جعلوا حرفتهم ومهنتهم فن الألفاظ لا اظهار الحقائق لكنكم تجدون بيننا اشخاصاً غير مُثقفين وصُنّاعاً وعجائز، **فإذا عجزوا عن أن يُبرهنوا على قيمة تعليمنا بكلماتهم يُظهرون بأعمالهم ثمرة اقتناعهم بالحق،** فاذا ضُرِبوا لا يَضربون وهُم يُعطون من يسألهم ويُحبون أقربائهم كنفوسهم].

التغصُّب فى طلب الملكوت

الحل الوحيد إذن هو أن يُخرج الإنسان ذاته من انحصارها وتحوصُلها فى طلب الأرضيّات والانشغال بها مُتجهاً بكافة أفكاره ومشاعره وميوله بل وسلوكه أيضاً صوب الأبديّة فيجذب معه نفوس الذين يحبهم ويكترث لأمرهم، وهو المعنى الذي عَبَّر عنه القديس سيرافيم ساروفسكى بقوله [إذا خمدت شُعلة الحب التى تلهبك فان الكثيرين حولك سيهلكون برداً]، وحتى لو أجبر الإنسان نفسه مُتغصّباً على طلب الملكوت لاجتذاب من يحبهم إليه فليثق أن الله لحنانه

العجيب لا يُضيع أجر هذا التغصّب! وعلى أى حال فالرساله مُتبادلة بين أفراد العائلة الواحدة فان لم يعملها الأب من أجل اسرته فليعملها الابن لأجل خلاصهم، وإن لم تُنفّذها الام فلتقم بها الابنه لكى تربحهم للمسيح.

بئِس وفقير وعريان

أحد أهم أسباب عدم ميل الإنسان لنوال التغيير والتجديد سأذكره فى قصة حدثت أمامى وهى كالآتى: شخصٌ كبير فى السن سألوه إذا كان سيخدم كشمّاسٍ فى احد القداسات فأجابهم بالحرف [هوه بعد ما شاب ودوه الكُتّاب!]، والحقيقة أنَّ هذا هو تفكير البعض ممن يرفضون التغيير ظنّا منهم أنهم شابوا وكبروا أمام الرب آخذين فى الاعتبار أن الشيب الذى يقصدونه ليس كما يُفهم ضمناً من معناه بما يُفيد التقدُّم فى العمر لكنه يحوى ضمناً شعور بالاكتفاء وعدم الاحتياج للرب ناسيين عتاب الرب لملاك كنيسة اللاودكيين "لأَنَّكَ تَقُولُ: إِنِّي أَنَا غَنِيٌّ وَقَدِ اسْتَغْنَيْتُ، وَلاَ حَاجَةَ لِي إِلَى شَيْءٍ، وَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ أَنْتَ الشَّقِيُّ وَالْبَئِسُ وَفَقِيرٌ وَأَعْمَى وَعُرْيَانٌ" (رؤ ٣ : ١٧).

علاقه المسيحى بالله تهبه قوة للكرازة

المريض إذن لابد وأن يتناول الدواء لكى ما ينال الشفاء، فإذا لم يتناوله لن يُشفى ومن ثم لن يقوى على أعطاء مرضى آخرين من دوائه ليشفوا، هكذا المسيحى لابد وأن ينال قوة فى علاقته بيسوع ليُشفى ومن ثَمَّ يقدر أن يُقدّمه بدالةٍ وبمصداقيّةٍ إلى آخرين أو بالحرى يُقدّم آخرين له كقول بولس الرسول "خطبتكم لأُقدّم عذراء عفيفه للمسيح" (٢كو ١١: ٢)، وهكذا يشفهم من أسقامهم وأحزانهم وضيقاتهم، فلو لم يُضيّق الإنسان على نفسه ليعمل ثُمَّ يُعلّم ذويه

وأحبابه طريق الرب والملكوت لحاد هو حتماً عنه ،أى عن الطريق، ولربما حادوا هم أيضاً عنه حتى ولو كانوا فيه قبلاً بقوّة.

مراجع الكتاب

العهد القديم (باللغه العربيّة \ الانجليزيّة \ العبريّة)
العهد القديم (الترجمة السبعينيّة)
العهد الجديد (باللغه العربيّة \ الانجليزيّة \ اليونانيّة)
أحاديث الأب متى المسكين
رسائل الأب متى المسكين
الدراسات الفلسفيّة \ الأنبا غريغوريوس المُتَنَيِّح

فهرس الكتاب

مقدّمة ٧
قوّة الكلمات ليس فى بلاغتها..... ١١
الميل للوحدة لا يعنى البغضة..... ١١
لكل شيئ زمان ولكل أمر تحت السموات وقت..... ١٢
"غيرة بيتك أكلتنى" (مز ٦٩ : ٩) (يو ٢ : ١٧)..... ١٣
شهوة بولس لخلاص ذويه..... ١٣
الفتور وباء المسيحيّة ١٤
المسيحى مدعو لحياة الكمال..... ١٥
خطوات عمليّة فى طريق الكمال ١٥
الحيّدان عن الشر..... ١٥
التدقيق..... ١٦
الوصايا ليست ثقيلة..... ١٧
التلذذ ١٧
صُنع الخير ١٨
النمو فى الطريق ١٨
الامتناع عن الشر وشبه الشر..... ١٩
المحبة الكاملة نهاية الطريق..... ١٩
لا عيب فى تقديم المخافه لله..... ٢٠
مثال يؤكد أهمية الشروع في عمل الخير..... ٢١
ما بين الزواج والرهبنة من حيث اقتبال السلام الداخلى ٢١

الله يهب سلامه للعالم كُلّه..... ٢٢
من الذى يتمتّع بالسلام ومن الذى يُحرم منه ٢٣
الانشغالات المُختلفة من أسباب فُقدان السلام..... ٢٣
الله يجتذب الإنسان ليطلبه ويسعى إليه ٢٤
الآلام التى يسمح بها الله سببٌ لخلاص الإنسان ٢٥
الإنسان قد يُزيد تعبه بنفسه..... ٢٦
ما بين استخدام الإنسان للعالم وانشغاله به..... ٢٧
لفظه [العالم] فى استخدامات الانجيل..... ٢٧
رساله المسيحى الحقيقيّة ٢٨
الكرازة للآخرين ليست ارتقاء للإنسان فوق ما ينبغى له ٢٩
الكرازة من الناحّة الأضيق..... ٣٠
الإنسان بسلوكه المسيحى يكرز بدون كلام..... ٣٢
التغصُّب فى طلب الملكوت..... ٣٣
بئِس وفقير وعريان..... ٣٤
علاقه المسيحى بالله تهبه قوة للكرازة..... ٣٤
مراجع الكتاب ٣٧

تَشَجُّعنا لِطرق باب هذا الموضوع إنما عزى لِعبارة الروح القدس بِلسان الجامعة "١١صَنَعَ الْكُلَّ حَسَناً فِي وَقْتِهِ وَأَيْضاً **جَعَلَ الأَبَدِيَّةَ فِي قَلْبِهِمِ** الَّتِي بِلاَهَا لاَ يُدْرِكُ الإِنْسَانُ الْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُهُ اللَّهُ مِنَ الْبِدَايَةِ إِلَى النِّهَايَةِ" (جا ٣: ١١)، حينها أدركنا أنَّ بلوغ حالة الكمال النسبي بالنسبة للمسيحي أمرٌ ليس صعباً كما بدى للكثيرين، فها الأبديّة التي هي النتيجة الطبيعيّة لبلوغ الإنسان إلى حالة الكمال النسبي هي في قلبه قد غرسها الله في مكنونات وجدانه وفي طبع خلقته لكي ما يستشعر حنيناً بينما هو غريباً على الأرض إلى موطنه الأصلي، وهكذا يصير شوقه طوال حياته منساقاً ومنجذباً نحو الأبديّة التي قد سبق الله وغرسها في طبع خلقته حتى قال عن هذا الموضوع القديس أغسطينوس [ستظل نفوسنا حائرة إلى أن تستقر فيك يا الله]، وهكذا تصير تعزية الإنسان حينما تُحاصره الهموم وتكثر عليه الأهواء وتزيد حوله المُضايقات هي أن يسترجع فكر الأبديّة الذي غرسه الله داخله قبل حتى أن يُولَد الأمر الذي يؤول به للثبات والتَشَجُّع لِمُقابلة ومُقاومة عواصف الحياة وهمومها وأحزانها التي ورثها عن أبيه آدم الأول (١كو ١٥: ٤٥) كنتيجةٍ طبيعيّةٍ لِخطيته الأولى في الفردوس (تك ٣: ٦).